

ميثاق السيرة النبوية في كتاب: "الشخصية المحمدية أو حل اللغز المقدس" المعروف الرصافي بين القبول والرفض -دراسة في السيرة الذاتية-



This work is licensed under a
Creative Commons Attribution-
NonCommercial 4.0
International License.

د.بابا سامية

قسم علوم اللسان، جامعة الجزائر 2

نشر إلكترونيًا بتاريخ: ٢٠ إبريل ٢٠٢٢ م

Abstract

Deals with the article, a popular theory in the field of autobiography and biography is the study of the prophet's biography. Through the book of the Mohamad personality or solving the secret mystery. The last that has been imprisoned from publication for sex décades.in This bases on the application of the Theory of pact biographie, or what the French theorist Philippe Lejeune, termed the reference pact wich you Will work on extracting from This biography, and Will also work on studying the biographical discourse of" Marouf Al-Rusafi "between rejection and acceptance.

الملخص

يتناول البحث نظرية رائجة في مجال السيرة الذاتية «Autobiographie»، فهو دراسة للسيرة النبوية من خلال كتاب "الشخصية المحمدية أو حل اللغز المقدس"؛ هذا الأخير الذي ظل محبوبا عن النشر، وفي هذه الدراسة التي تقوم على تطبيق نظرية الميثاق السيرى أو ما اصطلح عليه المنظر والأكاديمي الفرنسي "فيليب لوجون" « Philippe Lejeune » ب: الميثاق المرجعي : le pacte référentiel ، والذي سنعمل على استخراجه في هذه السيرة النبوية ، ، وكما سنعمل دراسة الخطاب لدى معروف الرصافي بين القبول والرفض .

Keywords: autobiography, biography, prophet's biography, reference pact, the Mohamad personality or solving the secret mystery, Philippe Lejeune, Marouf Al-Rusafi

* مقدمة

يمثل نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم المحور المركزي، الذي يتمركز حوله الدين الإسلامي بأكمله؛ لهذا يعتبر أي تشكيك في ما جاء به من أقوال وأفعال ضرب حقيقي ليس لشخصه الكريم بل لدين الإسلام الذي يدين به أكثر من مليار شخص، ومن هذا المنطلق أثار كتاب "الشخصية المحمدية أو حل اللغز المقدس" ضجة وردة فعل قوية بالنسبة لمؤلفه معروف الرصافي؛ فظل متوقفا على النشر لستة عقود كاملة، وذلك لما جاء به من أفكار تثير سخط متلقيها. لعل أهمها انكار المعجزات عن الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وفي هذا السياق قمنا بدراسة الميثاق السيري الذي قوامه الصدق والأمانة شأنه شأن ميثاق السيرة الذاتية الذي جاء به كتنظيرية المنظر الفرنسي "فيليب لوجون" لنقول في الأخير أنّ الشخصية المحمدية التي لها الفضل في إرساء معالم الدين الإسلامي حازت على إعجاب وإعتراف شخصيات بارزة من الغرب، فلا يقبل أي طعن فيها.

١- تعريف الميثاق في اللغة والإصطلاح بين المفهوم الإسلامي والغربي

أ- الميثاق لغة: ميثاق في المعجم اللغة العربية المعاصرة، ميثاق وجمع موثيق.

- موثق، عهد، ميثاق عدم الإعتداء - قال تعالى: "والذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق"

- اتفاق جماعي: الميثاق الوطني - الميثاق للجامعة الدول العربية - ميثاق هيئة الأمم المتحدة.

- (القانون) ما يتعاهد. أو يتحالف عليه رسمياً. شخصان أو أكثر، رابطة تتألف من أجل عمل مشترك.

أما في المعجم الفني، فنجد:-

- ميثاق الشرف، العهد.

آية 20 لسورة الرعد «الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق»¹

ب- تعريف الميثاق اصطلاحاً بين المفهوم الإسلامي والمفهوم الغربي

أما مصطلح الميثاق في الدرس النقدي الغربي، فنجده

عند المنظر الفرنسي "فيليب لوجون" " Philippe

Lejeune"، والذي يعرفه في كتابه الرائد ميثاق السيرة

الذاتية **le pacte autobiographique** الذي

ترجم منه "عمر حلي" فصلين كاملين، وأصدره تحت عنوان

: الميثاق والتاريخ الأدبي²، وهو يقول في هذا الشأن: بأن

الميثاق "يثير صوراً خرافية، مثل موثيق الشياطين التي نغمس

² Philippe Lejeune, le pacte autobiographique, Ed : suils, paris, 1975

¹ موقع المعاني الجامع، تعريف وشرح ومعنى الميثاق بالعربي في المعجم اللغة العربية، www.almaany.com يوم: 2020-12-22

فيها ريشتنا في دمنا من أجل بيع الروح .³ وقد أكد هذا المفهوم في كتابه "أنا أيضا" **moi aussi** سنة 1986. وهناك يقول : "أنّ المصطلح متعلق بالميتولوجيا الإغريقية، وعوالم الأسطورة والخرافات"⁴. فهو متعلق بعوالم شيطانية وأسطورية لا يستطيع عقل الإنسان على تصديقها . وهذا المفهوم يناقض معنى الميثاق إذا نظرنا إليه من زاوية إسلامية، فقد ورد في القرآن الكريم مصطلح الميثاق، لكنه يتخذ معاني متعددة يكاد لا يختلف بعضها عن بعض، فإذا كان الميثاق عند فيليب لوجون يتخذ مفهوم "الصور الخرافية" **les images fantastiques** ، وقد أعطى مثالا على ذلك المواثيق مع الشيطان، فإنه في المعاجم العربية، يتخذ مفهوما مغايرا، يشبه مفهوم العقد **"l'acte"** ؛ وقد تكلم عنه فيليب لوجون في صدد حديثه عن القارئ والمتلقي، يقول: "إنّ مصطلح العقد يستتبع ويفترض وجود قواعد صحيحة، ثابتة ومعترف بها لاتفاق مشترك بين المؤلفين والقراء، بحضور الكاتب الشرعي الذي يتم التوقيع عنده على نفس العقد وفي نفس الوقت"⁵. هذا عند فيليب لوجون. ومفهوم العقد قد نجده في الثقافة العربية الإسلامية، مشابها لعقد القران بين الرجل والمرأة، وهو ما يشابه معنى "الميثاق الغليظ" وهو الزواج، وهو تماما ما يوافق معنى الآية الكريمة: "

وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا"⁶، ويقول: "العلامة الشيخ الشعراوي" حول معنى الميثاق «فلو أدركتم كل الكيفيات فلن تجدوا كيفية تبرر لكم الأخذ، لماذا؟ لأنّ الحق قال: «وكيف تأخذونه». إذن فثمن البضع هو الإفضاء، وكلمة: «أفضى بعضكم إلى بعض» كلمة من إله، لذلك تأخذ كل المعاني التي بين الرجل والمرأة (وأفضى) مأخوذة من الفضاء هو المكان الواسع، «أفضى بعضكم» يعني دخلتم مع بعض دخولا غير مضيق.

فالإفضاء معناه: أنكم دخلتم معا أوسع مداخلة، وحسبك من المداخلة أنّ عورتها التي تسترها عن أبيها وعن أخيها وحتى عن أمها وأختها تبيينها لك، ولا يوجد إفضاء أكثر من هذا، ودخلت معها في الاتصال الواسع، ملامستك، مباشرتك، معاشرتك، مخرجك، في حمامك، في حمامك، في المطبخ، في كل شيء، حدثت إفضاءات، وأنت ما دمت قد أفضيت لها. وهي قد أفضت لك كما قال الحق... (...). والميثاق هو: العهد يؤخذ بين اثنين، ساعة سأل وليها: (زوجي) فقال لك: زوجتك، ومفهوم أنّ كلمة الزواج هذه ستعطي أسرة جديدة، وكل ميثاق بين خلق وخلق في غير العرض هو ميثاق عادي، إلا الميثاق بين الرجل والمرأة التي يتزوجها، فهذا الميثاق الغليظ"⁷، وهو نفسه الذي حث عليه

⁷ مأخوذ من موقع، مصراوي، خواطر الشيخ الشعراوي، حول الميثاق الغليظ، الثلاثاء: 25-أكتوبر-2016، الموقع www.masrawy.com: يوم 20-12-2020.

³ فيليب لوجون، الميثاق والتاريخ الأدبي، تر: عمر حلي، المركز الثقافي العربي، ط: بيروت.

⁴ نفسه: ص: 13

⁵ فيليب لوجون، الميثاق والتاريخ الأدبي، ص: 13.

⁶ سورة البقرة، الآية: 21.

الرسول صلى الله عليه وسلم أمته حتى يستقيم منهجها في الحياة .

٣- تعريف الميثاق السيرى و ميثاق المرجعي

نقول الميثاق السيرى ،لأننا ندرس جنس السيرة «le genre biographique» ويصطلح عليه عند فيليب لوجون :الميثاق المرجعي « le pacte référentiel»و هو نفسه الميثاق السير ذاتى الذي عرفه "فيليب لوجون" في كتابه :الميثاق السير ذاتى 2 علامات الحياة ،le pacte autobiographique 2 signes ، de vie⁸ ،وهذا من جهة أخرى لدينا ميثاق النبوة الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومعناه بشكل بسيط هو التمسك بكل أفعال وأقوال نبي الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام؛أي الالتزام بسيرته وهذا ما يقودنا إلى تساؤل حول السيرة ومعناها كما يلي :-

أ- تعريف السيرة

لغويا جاء في لسان العرب ل"ابن منظور" : السيرة ، ضرب من السير ،السيرة : السنة ، وقد سارت وسرتها ،...والسيرة الطريقة :ويقال :سار بهم سيرة حسنة ،والسيرة الهيئة....وسير سيرة :حدث حديث الأوائل"⁹ .وقد جاء أيضا في قاموس لاروس باللغة الفرنسية ؛لفظة السيرة مرادفة لمصطلح الأجنبي : la biographie وهي تعني : " قصة

حياة إنسان " ¹⁰؛ وهنا نقف عند لفظة حياة التي تقابلها لفظة " vie" بالفرنسية ،كما في مؤلفات الكاتب الفرنسي " أندريه مورو " (Maurois) وتاريخ (Histoire)، وظل دالا في آن على قصة حياة علم واحد وتكون عندئذ نصا سرديا طويلا مفرداً"¹¹، والسيرة شأنها شأن السيرة الذاتية تعتمد على عنصر السرد والحكي ،على أن يتم السرد من بداية حياة الإنسان أي من الطفولة حتى نهاية حياته .

ب- أنواع السيرة

تتأسس معالم جنس السيرة **la Biographie** من استعادة الأحداث المتعلقة بالذات المكتوبة ،وليس الذات الكاتبة كما في السيرة الذاتية ،وتبدأ السيرة عادة من مرحلة الطفولة ؛فمرحلة الطفولة هي اللبنة الأساسية التي تشكل معالم الذات المكتوبة في النص ،كيف لا ويعتبرها علماء النفس والاجتماع المكون الأساسي لتشكيل شخصية الانسان ،لهذا يكاد لا يخلوا نص سيرى أو حتى في السيرة الذاتية أو السيرة الذاتية الروائية من عرض لتفاصيل وتركت بصمتها على حياة المؤلف في نصه .

وفيما يلي نود مخطط تمثيلى ، يعطى لأهم أنواع السيرة كما يلي :-

¹⁰ La Rousse, dictionnaire littéraire, France 1997, p :43

¹¹ محمد قاضي، معجم السرديات، ص: 258.

⁸ Philippe Lejeune, signes de vie le pacte autobiographique, seuil, paris.

⁹ ابن منظور ، لسان العرب ،مج 7 ،دار صادر ،ط3 ، بيروت 2004 ، ص:317.

* أنواع السيرة

* السيرة النبوية

هي نوع من أنواع التراجم والسير؛ ويعرفها "يحيى إبراهيم عبد الدايم" على أنها: "نوع من أنواع الأدبية الذي يتناول التعريف بحياة رجل أو أكثر، تعريفًا يطول أو يقصر، ويتعمق أو يبدوا على السطح تبعًا لحالة العصر الذي كتبت فيه الترجمة، ومدى قدرته على رسم صورة كاملة واضحة دقيقة تشكل في النهاية الصورة الذاتية للمترجم"¹²، ولأن شخصية المترجم له أقل ما يقال عنها أنها عظيمة تنحوا نحو القداسة والتعظيم، فهي شخصية نبي الإسلام؛ وقد تناولت الكتابات التي تناولتها، فمنذ "القرن 2هـ في حين ظلت أوروبا عقيمة في كتابة التراجم منذ العصور الظلام التي خيمت عليها في القرون الوسطى".¹³؛ في ذلك الحين كانت قد ظهرت "سيرة ابن هشام" الأكثر فنية من السير التي تصدرت السير النبوية، وهي ماتزال بحسب الدارسين والباحثين ومنهم: د. نزار التجديتي: "أفقا أدبيا بارزا في مسار الكتابة التاريخية العربية الكلاسيكية وهو الأفق الذي نحت نحوه مختلف المدونات السردية والمؤلفات التاريخية العربية التي انتبعت شيئا فشيئا إلى أهمية البعدين الفني والجمالي في إحكام بنية التمثيل

التاريخي"¹⁴؛ فالبعد الجمالي والفني ضروري في بناء السيرة كجنس أدبي له مميزات نوعية، و"من أشهر السير النبوية، كتاب السيرة النبوية الذي استخرجه "ابن هشام" من كتاب "السيرة لمحمد بن اسحاق، وهو أقدم السير الواصلة إلينا وأجمعها".¹⁵

٤- كتاب الشخصية المحمدية أو حل اللغز المقدس

كتاب الشخصية المحمدية: هو كتاب للشاعر العراقي معروف الرصافي* كتبه في الفلوجة عام 1933. ونشرته دار الجمل عام 2002؛ وأحدث هذا الكتاب ضجة واسعة في العالم الإسلامي فور نشره، وتعرض للمنع في عدد من الدول العربية .

فكك الرصافي شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، وفق الروايات المتداولة في كتب التراث عن كل الأحداث التي شارك فيها، تحدث عن نشأته، وزواجه بالسيدة خديجة رضي الله عنها وأرضاها، وفضلها في انتشار الإسلام، وتطرق إلى حروب الرسول صلى الله عليه وسلم، ونزول الوحي، والإعتكاف في الغار، مشيرا إلى أنه إلى أنه تعلم ذلك من ورقة بن نوفل، ابن عم خديجة بنت خويلد .

¹⁴ نزار التجديتي، الناظم السردية في السيرة بنائها، دراسات فيما وراء الخبر والعيان، دار كنوز المعرفة، ط1 2020، ص:208.

¹² يحيى إبراهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص:31.

¹³ ساميا بابا، مكون السيرة الذاتية في رواية حكايتي شرح طويل لحنان الشيخ، دار الغيداء، ط1: 2012، ص:51.

الجميل المشهورة وحتى الممنوعة. بعد الصفحة الثانية التي لا تختلف عن الأولى نجد العنوان والعنوان الفرعي ولا نجد صورة الغلاف.

نجد في الصفحة الرابعة تعريفا للشاعر ويعد تعريفا مقتضيا.

وهذا الكتاب عبارة عن ثمان مجلدات، كلها تدور حول حياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

واعتبر الرصافي أن الرسول أدكى شخص في التاريخ، لأنه شكل دينا لا يزال مستمرا حتى الآن، ويتبعه أكثر من مليار شخص، لكنه رفض وصفه بالنبى، ورفض الإيمان بالمعجزات مثل "رحلة الإسراء والمعراج"¹⁶، مما أدى إلى منع صدوره مدة طويلة .

أ- وصف كتاب السيرة النبوية

الكتاب ضخيم عدد صفحاته 766 ص، في الصفحة الأولى يأتي اسم المؤلف معروف الرصافي صغيرا بالمقارنة مع العنوان، أما العنوان فيأتي بالبنط الغليظ وكبيرا بالمقارنة مع اسم المؤلف وتحت عنوان فرعي أو حل اللغز المقدس، بعد العنوان نجد صورة الغلاف وبعدها نجد دار النشر وهي: دار

سافر إلى اسطنبول فلم يحظ برعاية، ثم عين مدرسا لمادة اللغة العربية في كلية الشاهانية ومحررا لجريدة سبيل الرشاد عام 1909، وانتخب عضوا في مجلس المبعوثات عام 1912، وأعيد انتخابه عام 1914 م، وعين مدرسا في دار المعلمين في القدس عام 1920، وعاد إلى بغداد عام 1921، ثم سافر إلى الأستانة عام 1923، وأصدر فيها جريدة الأمل وانتخب عضوا في مجمع اللغة العربية في دمشق عام 1923، وبعد ذلك عين مفتشا في مديرية المعارف ببغداد عام 1924 م، ثم عين أستاذا في اللغة العربية بدار المعلمين العالية عام 1927. ولقد بنى له تمجيدا لذكراه تمثالا في الساحة المقابلة لجسر الشهداء عند تقاطع مع شارع الرشيد المشهور قرب سوق السراي والمدرسة المستنصرية الأثرية. مأخوذ من موقع ويكيبيديا(بتصرف): <http://ak.m.wikipedia.org> بتاريخ: 05-2020-12 .

¹⁶ معروف الرصافي هو شاعر وأديب عراقي ولد معروف الرصافي بن عبد الغني بن محمود الجباري الحسيني في بغداد عام 1875، من أب كردي النسب وأم تركمانية، كان والده يعمل في حكومة الدولة العثمانية، أما والدته فهي فتومة بنت جاسم الشيخ علي، و نشأ في بغداد حيث أكمل دراسته في الكتاتيب ثم دخل المدرسة العسكرية الابتدائية فتركها، وانتقل إلى الدراسة الدينية ودرس على يد أعلام بغداد كالشيخ عبد الوهاب النائب، والشيخ قاسم القيسي، وشيخ عباس حلمي القصاب، ثم اتصل بالشيخ العلامة محمود شكري الألوسي ولازمه اثنتي عشرة سنة، وتخرج من عنده وكان يرتدي العمامة وزى العلماء، وسماه شيخه الألوسي (معروف الرصافي). ليكون في الصلاح والشهرة والسمعة الحسنة، مقابل لمعروف الكرخي. وعين الرصافي معلما في مدرسة الراشدية التي نشأها الشيخ عبد الوهاب النائب، شمال الأعظمية، ثم نقل مدرسا للأدب العربي في الإعدادية ببغداد، وظل فيها إلى إعلان الدستور عام 1908 م، ثم

٥- تمظهرات الميثاق السيرة النبوية: "الشخصية المحمدية أو حل اللغز المقدس"

أ- صيغة الميثاق في الخطاب المقدماتي

ميثاق السيرة النبوية وهي نوع من أنواع السيرة، سماه المنظر الفرنسي ب: الميثاق المرجعي *le pacte référentiel* وهو شأنه شأن ميثاق السير ذاتي عادة ما يأتي في بداية النص مرتبطاً بفعل الكتابة، ويرتبط الميثاق السيري كما السير ذاتي بقول الحقيقة، بقول فيليب لوجون: " يتعهد المؤلف السير ذاتي من جهته بقول الحقيقة لكم، أو على الأقل ما يراه هو حقيقة ".¹⁷ كما يرتبط بمبدأ مهم وهو مبدأ الصدق، فهو كما ذكرنا ميثاق سير ذاتي يعتمد على الصدق والأمانة، ويصرح به الكاتب في نصه، حيث نجد باسم الحقيقة المطلقة اللاتينية يقول: "الحمد لها والصلاة والسلام منها علينا وبعد فقد كنت أكتب للتاريخ، وكنت أحسب للتاريخ حساباً وأجعل له منزلة يستحق بها أن أكتب حتى لقد قلت فيما قلته من قبل: وأكتب للتاريخ وما أنا كاتب ليجعله أحدثه كل فجر"¹⁸.

من ملفوظ الميثاق يتضح الفعل الثلاثي كتب: وهو فعل كلامي محفز على فعل الكتابة حول الموضوع التي تمت فيه الكتابة حوله، وهنا تتضح الدوافع الذاتية والعقلية والفعالية لكتابة هذه السيرة النبوية. وهذه الدوافع متعلقة بالذات الكتابة

" معروف الرصافي" لا بذات المكتوبة وهي الرسول صلى الله عليه وسلم، ومجد هذا الميثاق في البداية وأيضاً في النهاية أي في وصية الكاتب، يقول معروف الرصافي في وصيته: "...وأصبحت لا أقيم للتاريخ وزناً ولا أحسب له حساباً لأني رأيت بيت الكذب ومناخ الضلال ومتشجم أهواء الناس، إذا نظرت فيه كنت كأني منه في كتمان من رمال الأباطيل.

ولئن أرضيت الحقيقة بما أكتبه لها لقد أسخطت الناس علي، ولكن لا يضرنني سخطهم إذا أنا أرضيتها.... ثم يضيف في تساؤل:

فإن قلت أيها القارئ الكريم من يضمن لك إنك ترضي الحقيقة؟"¹⁹

يكرر كاتب السيرة النبوية يبحث عن الحقيقة، وهي مبحث ثابت في فلسفة العلوم، ولكن الغير المجدي هما أن نشكك في ثوابت المؤسسة للدين الإسلامي. بمبرر البحث عن الحقيقة، ويتجلى للقارئ ضعف الحجة عند الكاتب، فالراسخ عند كل مسلم الإيمان بمسلمات وثوابت الدين الإسلامي، فهذه الثوابت لا مجال لتشكيك فيها، لكن الكاتب يخصص قسماً تحت عنوان:-

"هل لمحمد معجزات"²⁰، والجدير بالذكر أن الكاتب كان قبلاً قد وسمه بالعظمة، وهنا نتساءل كيف محمد

19 الصفحة الرابعة للسيرة النبوية الشخصية المحمدية أو حل اللغز المقدس.

20 المصدر نفسه، ص: 737.

17 Philippe Lejeune le pacte autobiographique signes de vie ed Seuil p :31

18 معروف الرصافي، الشخصية المحمدية أو حل اللغز المقدس، ص: 15

عظيم وليس له معجزات؟ فمحمد صلى الله عليه وسلم يمثل النموذج بحسب "فيليب لوجون" وهو في هذا السياق يصرح بأن "نماذجنا هم لنا، لكن هم نحن"²¹، والمؤكد أن هذا النموذج هو مرجع حي في حياة كل مسلم، وما جاء به تعتبر من أساسيات الدين الإسلامي.

٦- النموذج في السيرة النبوية لمعروف الرصافي بين الرفض والقبول

يمثل الرسول عليه الصلاة والسلام مرجعا مهما في الدين الإسلامي، والمرجع **le référent** هو عنصر أساسي ومكون للميثاق المرجعي المتعلق بنصوص السيرة، وهذا النموذج يحتاج من المتلقي التصديق، وهذا مبدأ مشكل للميثاق السير ذاتي بالتالي الميثاق المرجعي، وعندما نتحدث عن المرجع في الدرس اللغوي الغربي، لا بد أن نشير أن المرجع ما تشير إليه العلامة اللسانية في الواقع غير اللغوي: **réalité extralinguistique**²²؛ كما يضيف الدكتور نور الدين الحاج أن "من بواكير الدراسات حول قضية المرجع وفيها أكد صاحبها أن من شروط المرجع أن يكون من طبيعة واقعية"ⁱⁱ وشخص الرسول صلى الله عليه وسلم واقعي لهذا لاقى القبول عند المسلمين وحتى عند الغرب الذين يرون أنه شخص حقيقي وواقعي، وهنا لسنا في حالة التشابه **Rossobance**، لأن شخصية نبي الإسلام محمد بن عبد

الله هي النموذج والشخصية الرئيسية في حالة السيرة النبوية، فالنموذج في حالة السيرة هو حياة إنسان كما كانت بالفعل.²³ لكن السؤال الذي يطرح نفسه هل قدمها المؤلف كما هي بدقة متناهية، ففي السيرة يرتبط المؤلف والسارد بينهما في بعض الأحيان عن طريق علاقة التطابق.²⁴ وهنا تنتفي المشاهدة فهناك جزم بأن ما تقوله وتفعله هو حقيقي ولموس، وهنا تتساوى ذات التلفظ مع ذات الملفوظ، ومن هذا المنطلق يتضح علاقة واقعية والمساواة بين شخص النبي صلى الله وسلم وأقواله أي سنته، ومخطط فيليب لوجون يمكن تطبيقه كما يلي:-

٧- الشخصية المحمدية أو حل اللغز المقدس بين الرفض والقبول

يقدم الكاتب في بداية السيرة النبوية اعترافا حطيراً: "ولئن أرضيت الحقيقة بما أكتبه لها لقد أسخطت الناس علي، ولكن لا يضرنني سخطهم إذا أنا أرضيتها كما لا ينفعمهم رضاها إذا كانت على أبصارهم غشاوة من سخطهم علي، وعلى قلوبهم أكنة من بغضهم إياي. وإنما أنا وهم كما قال الأول:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والآي مختلف"²⁵؛ فالمؤلف على دراية بأن ما كتبه سوف يلاقي الرفض من قبل كل مسلم ملتزم بدينه وأساسياته والتي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وفي هذا يقول: د. عبد النبي اصطياف: "

²³ فيليب لوجون، الميثاق والتاريخ الأدبي، ص: 54.

²⁴ نفسه، ص: 55.

²⁵ معروف الرصافي المرجع السابق، ص: 16.

²¹ Philippe Lejeune, le pacte autobiographique signes de vie, p: 155.

²² Jean Dubois et autre : dictionnaire de linguistiques librairie Larousse, 2001, p: 415.

ويبدو أنه بسبب مركزية شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الدين الإسلامي والمجتمعات الإسلامية، لكون سنته المصدر الثاني للتشريع في معظم الممالك والدول الإسلامية عبر العصور، ونتيجة للنجاح الصاعق لفتوحات العربية – الإسلامية في شرقي العالم وغربيه، وما زرعه ذلك من خوف في نفوس الغربيين، حيث باتوا يرون فيه تهديداً مباشراً لمصالحهم الدنيوية في الهيمنة والاستغلال والظلم، فقد كان من الطبيعي أن تنال صورة محمد صلى الله عليه وسلم، صاحب رسالة الإسلام مختلف مظاهر التحريف والتشويه والظعن المحفزة بدوافع دينية وأيديولوجية²⁶ عندما يتبنى المؤلف أيديولوجية التشكيك في مصداقية ما جاء به نبي الكريم عليه الصلاة والسلام. ويعلل ذلك بأنه يبحث عن الحقيقة، وهنا نشير أن ميثاق السيرة النبوية هو ميثاق الحقيقة ويمكن أن نستخرج هذا المفهوم الإجرائي بحسب فيليب لوجون من فلسفة الذات، فسؤال الحقيقة كما تداولته أدبيات التأسيس الفلسفي للذات على اختلاف مشاربها كما يلي: ما الحقيقة؟ ونحن نقصد أن ذلك ينطبق على "ديكارت" "لايبنتز" "مالبرانش"²⁷. فالتساؤل قد يمون مشروعاً يزيد في عقلانية الفكر ويرشده إلى المعرفة والعلم، لكن هذا التساؤل إن تعلق بالمسلمات والثوابت الدين الإسلامي فإنه فسوف يرفض كما حصل لمعروف الرصافي الذي منع كتابه من النشر

، لكن قد يعتبره البعض تجديداً في خطاب السيرة النبوية وهذا ما يراه باحث التونسي (حسن بزاينية)، وهو يقول في التعريف بالكتاب المجددين: "أول هذه الكتب تأليفاً هو كتاب (الشخصية المحمدية أو حل اللغز المقدس)، لشاعر العراقي معروف الرصافي (1945م)، ولهذا الكتاب قصة تدل على كونه بدعة في زمانه، وفي زمان من جاء بعده، إذ أرخت مقدمته بسنة ثلاث وثلاثين وتسعمئة وألف (1933م) والنسخة، التي اعتمدت في الطباعة، اكتتبها كامل الجادرجي سنة أربع وأربعين وتسعمئة وألف (1944م)، أما النشرة الأولى للكتاب فلم تظهر إلا عام اثنين وألفين (2002م)! وهكذا ظل الكتاب أسيراً زهاء ستة عقود لم يخرج فيها للناس.²⁸ والشاعر والمؤلف الكتاب كان يعلم بخطورة استقبال ما ألفه لكن هناك من يراه في يومنا هذا من باب التجديد في خطاب السيرة النبوية بل أول كتاب شكك في هذا الخطاب وهذا أمر يحسب له لا عليه، في الوقت الذي تؤلف الكتب في شخصية نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم تتأسف لنرى من المسلمين من يطرح خطاباً يهز فيه الصورة الميثاقية لهذه الشخصية التي يعترف حتى الغرب بقدراتها الخارقة وبمعجزات التي أتت بها مما يجعل منا الوقوف عندها .

²⁸ حسن بزاينية، جهود بعض المحدثين في تجديد خطاب السيرة النبوية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود بحث عام، قسم الدراسات الدينية، صدر بتاريخ 06 يونيو 2017، ص: 05.

²⁶ عبد النبي اصطياف، صورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الكتابات الأنجلو-أمريكية منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة السورية، ط1 2008: دمشق، ص: 09.
²⁷ محمد مزيان، مسألة الذات في الفلسفة الحديثة، منشورات الإحتلاف، ط1 2015 الجزائر، ص: 22.

٨- الشخصية المحمدية في نظر عقلاء الغرب والمشهورين

لقد وقف الكثير من الفلاسفة والمستشرقين والشعراء عند شخصية المحمدية وأيقنوا جوهرها الحساس الذي لا يكاد يخرج عن القيم الانسانية والأخلاقية، هذا الجوهر هو رسالة محمدية عمدت على تحرير الإنسان من العبودية، والبشرية جمعاء من الفوضى والعبثية، فهذا المؤرخ الأروبي (جيمس ميتشنر) يقول في مقال له عن النبي صلى الله عليه وسلم: وقد أحدث محمد عليه السلام بشخصيته الخارقة للعادة ثورة في الجزيرة العربية، وفي الشرق كله، فقد حطم الأصنام بيده، وأقام ديناً خالداً يدعو إلى الإيمان بالله وحده²⁹ أما من الأدباء فنجد الروائي والفيلسوف الكبير تولستوي الذي أعجب بالدين الإسلامي وبشخصية نبيه في مقال له بعنوان: (من هو محمد؟) يقول: "إنَّ محمد هو

مؤسس ورسول، كان من عظماء الرجال الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة، ويكفيه فخراً أنه هدى الأمة برمتها إلى نور الحق، وجعلها تجنح إلى السكينة والسلام، وتؤثر عيشة الزهد ومنعها من سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية، وفتح لها طريق الرقي والمدنية، وهو عمل عظيم لا يقدم عليه إلا شخص أوتي قوة، ورجل مثله جدير بالإحترام والإجلال.³⁰

والأقول كثيرة في المضمار وما جاءت إلا لتتصف شخصية قدمت إنجازاً عظيماً للبشرية، فالجدير بالذكر كان على الشاعر معروف الرصافي ليس وصفها بالعظمة والاحلال ثم انكار النبوة والمعجزات عنها وهنا قمة التناقض الذي وقع فيه.

³⁰ نفسه، ص: 04

²⁹ د. محمد السقا عيد عظمة النبي في عيون المنصفين والعقلاء الغربيين، شبكة الألوكة www.alukah.net، ص: 03